

ذكرى ميلاد الرسول

للأستاذ محمد يوسف موسى

كلما خطر بالبال أو جرى على اللسان ذكر مولد محمد صلى الله عليه وسلم تذكرنا الدين الذى جاء به فكان قارقاً بين الحق والباطل ، وحداً فاصلاً بين عهود خلت لبستها الإنسانية وأخلقتها بعد أن اجتوتها ، وعهد جديد أهل بالزوال والكرامة . حقاً لقد كان ميلاد الرسول إيذاناً بانتهاء ما سبقه من أديان كانت مناسبة لمن جاءت إليهم ، وباستهلال الإسلام الدين الخالد الصالح للناس جميعاً ؛ لا فرق بين بدو وحضر ، وسود وبيض ، وشرقيين وغربيين ، تقدم بهم الزمان أو تأخر

وليس من العجب أن يجيىء دين صالح عام بعد دين قاصر خاص ، بل كان يكون العجب ألا يكون هذا التدرج الذى عرفه التاريخ . لقد ولدت الجماعة البشرية طفلة ، وترقت — شأن كل الكائنات الحية — جيلاً فجيلاً ، فرت من الطفولة للشباب ، وانتهت أخيراً للدور الرجولة الرشيدة الكاملة . وكان من حكمة الله اللطيف الخبير أن تتفق الديانات التى تعبد بها عباده فى الأزمان المختلفة ، وعقول من أرسلت إليهم ومداركهم وحاجاتهم . لهذا رأينا الرسول يتبع الرسول ، والدين يجيىء فى أثر الدين ، وكل له ناسه المحدودون وزمنه الموقوت ، حتى يمث المصطفى عليه أفضل الصلاة والسلام يدين الناس جميعاً والإنسانية عامة ، فتمت به نعمة الله على عباده وكرمت لهم السمادة

ونعرف قيمة منة الله على العالم بأسره بميلاد محمد وبمنه يتاج الأديان ، يجب أن نلقب بعض صفحات التاريخ ، وتذكر قليلاً حالة المسيحية التى كانت لها السيادة قبل الإسلام على جزء كبير من العالم المعروف بالمدنية حين ذاك

لقد ظهرت المسيحية فى عصر كان المال هو للمبود من دون الله ، وكانت الشهوات حتى الوضع منها هى التى تأخذ على الناس أمهم وتوجههم فى أعمالهم ، طلباً لها وتهافتاً عليها كما يتهاقت الفواش على النار . وحسبنا أن نعلم أن مذهب أبيقور ،

فى أوضع ما اتخذ من صور إباحية ، كان مذهب الكثرة الغالبة ، فى بلاد الرومان ميدان نشاط المسيحية بعد مهدها الأول وهو الشام . غلب من اليهود فى طلاب المال وجمعه من كل النواحي وبسائر الوسائل ، وغلب فى الاقتتان بالشهوات ومتع الحياة الدنيا . هكذا يمكن تصوير ما كان يسود العالم من نزعات إبان ظهور المسيحية من أجل ذلك كان طابع المسيحية زهداً شديداً ، ولهذا رأينا المسيح عليه السلام معرضاً تمام الإعراض عن الدنيا وحاشا حواريه وأتباعه على التخلص منها ومن أسرها ومفاتها ، ومؤكداً أن ملكوت لن يفتح للأغنياء ، وأنه سيكون وفقاً على الفقراء . لكن النفس شهوات يجب أن ترضى فى قصد ، لهذا كان من الطبيعى ألا يطبق من جاء لهم هذا الدين وصاياهم الشديدة ، وما يدعوه من زهد وهشف وترك تام للدنيا ؛ « فهب القناعون عليه أنفسهم لنافسة الملوك فى السلطان ، ومزاحمة أهل الترف فى جمع الأموال ، وانحرف الجمهور الأعظم منهم عن جادته بالتأويل ، وأضافوا إليه ما شاء الهوى من الأباطيل (١) » .

ولعل من الخير أن نذكر شاهداً ودليلاً على ما نقول من تهالك عامة رؤساء الدين المسيحي أنفسهم على الدنيا . روى ابن هشام فى سيرته عن ابن اسحق فى خبر طويل أن سلمان الفارسى — وكان فى بدء أمره مجوسياً من أهل أصبهان — صاباً إلى للمسيحية ، إذ أخذ يلقبه ما سمعه من صلوات وتراويل دينية ، فضاقل أباه — وكان دهقان قرية — وفر إلى الشام ليأخذ علماً من علم أهل الإنجيل وليتصل برؤساء هذا الدين . ولما وصل إلى تلك البلاد سأل عن أفضل هذا الدين علماً ، فدل على أسقف الكنيسة ، فذهب إليه واستأذنه فى خدمته ليتعلم منه ويلتمس من فضله ... وهنا أترك الحديث لسلمان نفسه يقول : « وكان — يريد الأسقف — رجل سوء ؛ يأمرهم بالصدقة ويرغبهم فيها ، فإذا جموا إليه شيئاً منها اكتنزه لنفسه ولم يعطه للمساكين ، حتى جمع سبع قلال من ذهب وورق ، فأبغضته بغضاً شديداً لما رأته يصنع » . ولما ملئت وقت النصارى على ما كان يفعل ، وأرتهم موضع كنزهم فاستخرجوه ، وحرقوا على الأسقف وقتلوا والله لا ندفنه أبداً (٢) .

(١) رسالة التوحيد للشيخ محمد عبده من ١٦٨

(٢) سيرة ابن هشام طبع مصطفى محمد من ١ : ٢٣٥

الغنى الشاكر إلى مرتبة الفقير الصابر وربما فضله عليه . دين هانا عن الغلو في طلب الآخرة ونسيان الدنيا ، وبخاصة وهذه قد تكون من وسائل تلك ، فاصا علينا ما قال قوم هارون له : « وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا » دين لم يقل رسوله كما قال المسيح لواحد من أنصاره « بع مالك واتبعنى » ، بل قال لسعد بن أبى وقاص وقد استشاره — وهو عليل مدنف وذو مال كثير — فيما يتصدق به : « التلت والتلت كثير ! إنك إن تدع ورثتك أغتيا خير من أن تدعهم عالة يتكفنون للناس » ، وهكذا نجد الإسلام يتناسب وما يلفته الإنسانية من رشد ، والدين الذى استحق أن يكون خاتم الأديان بما يؤدى إلى سعادة الناس جميعاً مهما اختلف بهم الزمن

إذا كان هذا شأن العالم والنسيحية بصفة عامة ، وهو شأن كان ينادى بضرورة دين جديد فلبى الإسلام النداء ، فكيف كان حال العرب وهم مهد الإسلام ومنيته ؟ لا أظن المرء يأتى بمجديد إن عرض حالة العرب قبل ميلاد الرسول وبشبه بخير دين ، قد كثر فى ذلك الكلام ، فلأقتصر إذن على كلمة قصيرة تنبئ منها كيف كان العرب يكفون على ما كانوا عليه من ضلال فى الدين ، وضلال فى العقائد ، وشدة فى الخضوع لما كان عندهم من أوثان وأصنام ؛ وهى حالة تستوجب الإقصاد السريع بدين يرد للانسان شرفه وكرامته بعد أن ألقى عقله وعبد فى موطن البيت الحرام بعض ما كان يصنع بيديه !

والحديث قد طال فلترجى تمامه إلى العدد الآتى إن شاء الله

محمد يوسف موسى

للمدرس بكلية أصول الدين

حكم فى القضية ٤٨٢ جنح عسكرية ططا سنة ١٩٤٢ ضد عبد الرحمن أحمد زويج بحجه ثلاثة أشهر شغل ليه لحوماً بسر أكثر من المهد بمجلة ١٥ ديسمبر سنة ١٩٤١

حكم فى القضية ٩٨٢ جنح عسكرية ططا سنة ١٩٤٢ ضد أحمد عبد الرؤوف الاسلامبول بحجه شهر شغل ليه سكرًا بسر أكثر من المهد بمجلة ٢ فبراير سنة ١٩٤٢

وعما يجب أن يلاحظ — وقد بلغنا هذا الموضع من نبأ سلمان — أن النصرارى أقاموا بعد الاستقف الذى ذكرنا خبره آخر لم ير سلمان أفضل منه وأزهد فى الدنيا ، فأقام معه زماناً ، ولما حضره الموت طلب إليه أن يوصى به من يرى فيه الخير مثله فقال له : « أى بنى ، والله ما أعلم اليوم أحداً على ما كنت عليه ، قد هلك الناس وبدلوا وتركوا أكثر ما كانوا عليه إلا رجلاً بالوصل ، وهو فلان وهو على ما كنت عليه فألحق به » (١) . فعلم سلمان وحده لصاحب الوصل — وقد خبره — دينه وأمره ، ولما حانت منيته لم ير من يوصى به إليه إلا آخر نصيبين ، وهذا لم يجد من يوصى به إليه حين أشرف على الموت إلا رجلاً بمسورة من أرض الروم ، لأنه كما يرى صاحب نصيبين آخر من بقى على الدين المسيحى ونهجه الصحيح حين ذاك . ومعنى هذا أن الناس فى ذلك الزمن لم يطبقوا الدين المسيحى ، فانسلكوا منه شيئاً فشيئاً لما طال بهم الأمد ، وقست قلوبهم فارعوه حتى رعايته

وهنا أقف عن نفسى بالإشارة إلى ظاهرة أحسستها من زمن بعيد وجهدت فى أن أجدها تعليلاً : هى أن الغالب على رجال الأديان عامة — حتى المسلمين — فى هذا الزمن حب المال وجهه والاستكثار منه ، وعدم المسارعة إلى أفعال البر التى تقتضى البذل والإنفاق ! لماذا ! لا أدري ، اللهم إلا أن يكون معرفتهم بالدين معرفة دقيقة ، والإحاطة بما دونه المتأخرون من الفقهاء فى تأليفهم ، كل ذلك جعل منهم على جبل النزاع صلات ليست من الحق فى شيء ، تجعل من الدين عليهم ما يحسه فيهم من إقبال على الدنيا شديد وتختلف فى ميادين البذل والإنفاق !

وهما يكن قد كانت المسيحية وما تدعو إليه من غلو فى الزهد ، وكان أهلها وما فتنوا به من حب للمال والشهوات وعروض هذه الحياة ، مهنماً طيباً للإسلام الذى جاء والإنسانية قد بلغت رشدها فكان ديناً وسطاً فيما لا عوج فيه ، دين عرف للجسم حقه والروح حقها ، فلم يوجب التشف ولم يحرم التمتع بزينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق ، ولم يطلق أبواب الجنان دون الأغنياء كما أعلن عيسى عليه السلام ، بل له رفع